

الإمام علي عليه السلام في الشعر المسيحي المعاصر (دراسة نموذجية : العلويات لجوزف الهاشم)

تورج زيني وند*

أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمانشاه

(تاريخ الاستلام: ١٤٣٤/٧/٢٨ ؛ تاريخ القبول: ١٤٣٤/٩/٢٧)

ملخص المقال

الشاعر المسيحي اللبناني، جوزف الهاشم، يعدّ من أبرز شعراء النُصرانية في الأدب العربي المعاصر الذي كرّس شعره في خدمة القضايا الفكرية والعقائدية للتشيع. مقتطفات العلويات، تثبت ولاء جوزف الهاشم، الحاسم والصادق، لعلي وآل البيت عليه السلام. هذه المجموعة الشعرية، تحدّثنا عن قدرة الشاعر في المزج العميق بين الشعر الملتزم بحب آل البيت عليه السلام وبين أدب المقاومة والمكافحة. إنّه استطاع في علوياته أن يمزج بين حبه الصادق لآل الرسول ﷺ وفضائل الإمام علي عليه السلام من ناحية، وأدب المقاومة وآلام المسلمين ومتطلبات الشعب العربي في عصرنا الراهن من ناحية أخرى. وقد تبين لنا أنّ الفكرة الغالبة على شعره هي أن تستهض إرادة الشعوب الإسلامية ضدّ الكيان الصهيوني باستدعاء الشخصيات الدينيّة-التاريخيّة للشيعة، كما راح يندّد بالخنوع والمساومة في قضية الاحتلال في فلسطين ولبنان. الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والتلميح بالحوادث التاريخية التي كانت سائدة إبان عهد الإسلام والجمع بين الأدب الشيعي المناضل و أدب المقاومة، ثمّ الاقتباس من التراث الشعري العربي من حيث المضمون والأسلوب واستخدام صور الخيال تعدّ أبرز الخصائص الفنيّة لعلويات جوزف الهاشم. وزبدة القول هي أنّ هذا المقال يرمي إلى دراسة هاتين المسألتين:

الأولى: مقدّمة في كليّات البحث، ثمّ التعريف بمكانة الشاعر جوزف الهاشم، ولمحة عابرة إلى بعض معاصريه المسيحيين في الشعر الشيعي الملتزم.

وثانيهما: دراسة في صميم علويات جوزف الهاشم من حيث المضمون والأسلوب.

الكلمات الرئيسية

الإمام علي عليه السلام ، أهل البيت عليه السلام ، جوزف الهاشم، العلويات، الشعر الشيعي، الشعر المسيحي، أدب المقاومة.

مقدمة

الأدب الملتزم بحب آل الرسول ﷺ ليس مختصاً بالمسلمين فقط، بل قد يكون خالقه غير مسلم أيضاً؛ لأنَّ حبَّ أهل البيت ﷺ هو حبُّ الإيمان والكمال والقيم الإنسانية السَّامية، والمسلمون وغير المسلمين مشتركون في هذا الحبِّ (أنظر: سياحي، ١٣٨٢، ص ٢١).

حينما نتصَّحَّ الشعر العربي - قديمه أو حديثه - ونطيل النَّظْر فيه، نري فيه نزعات أو اتِّجاهات شعرية مختلفة. ومن جملة هذه الاتِّجاهات الشعريَّة التي يعود تاريخها إلى ما قبل بزوغ فجر الإسلام المبين، هي النَّزعة النَّصرانية أو المسيحيَّة التي تكاد تكون نزعة مستقلة في الأدب العربي.

وليس الأمر يقف عند هذا الحدِّ، بل أخذ ذلك العقل المسيحيَّ المحايد، يواكب الفكرة الشَّيعية المعتدلة ويعكس آلامها وآمالها في جوِّ من العاطفة الجيَّاشة والصَّادقة والحاسمة. ولذلك لسنا مبالغين إذا قلنا؛ إنَّ كلَّ ما كتبه المفكرون والأدباء المسيحيُّون حول أهل البيت ﷺ، مثل؛ جبران خليل جبران وشبلي شميل، وروكس بن زائدة العزيزي وسليمان الكتَّاني وفليب حتَّى وأنطوان بارا ونصري سلهب وبولس سلامة وجورج جرداق وعبد المسيح الأنطاكي وسعيد عقل وجوزف الهاشم وأمين الريحاني وخليل فرحات وأمين نخله و... هو نداء صادق وإعلام صريح إلى كلِّ المسيحيين - والمسلمين أيضاً - في العالم، ليركضوا إلى طريق النور والرَّشاد (أنظر: هيفاء، ١٤٢٦، ص ١٢).

ومهما يكن من الأمر، فإنَّ الشَّيء اللَّافِت للنظر، هو أنَّ جرجي زيدان (١٨٦١-١٩١٤م) وميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٩٨م)، والشيخ إبراهيم اليازجي (١٢٦٤-١٣٢٤هـ) وناصر اليازجي (١٢١٤-١٢٨٧هـ) ويطرس البستاني (١٢٣٥-١٣٠١هـ) وسليمان البستاني (١٢٧٣-١٣٤٤هـ) وغيرهم من اللذين تحدَّثوا في أدبهم عن فضائل الأئمة ﷺ أو الفكرة الشَّيعية، كانوا من أركان النهضة ومن مشاهير الأدب العربي الحديث، وهم منتمين إلى الديانة المسيحيَّة.

وخير مثال للأدب المنطبع بالطابع الشَّيعيِّ هو ما نجده لدى بعض المسيحيين المعاصرين؛ ومنهم «الواقم النَّصراني» الذي له غديرية يقول في مطلعها:

أَلَيْسَ بِخُجْمٍ قَدْ أَقَامَ مُحَمَّدٌ عَلِيًّا بِإِحْضَارِ الْمَلَأِ فِي الْمَوَاسِمِ

(الأميني، ١٤٣٠، ج ٣، ص ٤)

وهذا هو «عبد المسيح الأنطاكي» صاحب «القصيدة العلوية» في (٥٥٩٥) بيتاً. منها:

لِلْمُرْتَضَى رُبَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ لَدَى أَهْلِ السِّيقِينَ تَنَاهَتْ فِي تَعَالِيمِهَا
كَذَا النَّصَارَى بِحُبِّ الْمُرْتَضَى شَغِفَتْ الْبَابُهَا وَشَدَّتْ فِيهِ أَغَانِيهَا

(الأنطاكي، ١٤١١، ص ٧١٠)

وأيضاً، «بولس سلامة» صاحب «ملحمة عيد الغدير» في (٣٠٨٥) بيتاً. مطلعها:

هَكَذَا كَانَ صِهْرُ أَحْمَدَ يَضْفِي نَبْلَهُ مِلءَ سَرْحَةِ الدَّهْرِ فَيَا

(سلامة، ١٤١٠، ص ٣٤٠)

والذي نلاحظه أخيراً في نهاية المطاف أن هناك شعراء استمدوا في أشعارهم وفكرهم من مناقب أهل البيت عليهم السلام وهم على ملة المسيح. ومن هؤلاء؛ جورج شكور في (ملحمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) وملحمة الإمام علي عليه السلام وملحمة الإمام الحسين عليه السلام (وجورج زكي الحاج في (قصيدة الحسين عليه السلام)، وريمون القسيس في (سيد الشهداء والعلويات) وفكتور الكك في (قصائد في الغدير وأهل البيت عليهم السلام) ... (أنظر: هيفا، ١٤٢٦، ص ٩٥، ١٢٧، ٦٢٣).

ونعود هنا إلى موضوعنا الأساسي في المقال الحاضر الذي يستعرض علويات جوزف الهاشم. والمقصود بالعلويات هي كل القصائد أو المقطعات الشعرية التي أنشئت في مدح الإمام علي عليه السلام وتعداد مناقبه وفضائله. مجموعة العلويات، تنقسم إلى قسمين:

(أ) القصائد الطوال كالقصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد والقصائد العلويات لابن عبّاد.

(ب) القصائد القصيرة أو القطعات الشعرية في مدح الإمام علي عليه السلام كبعض قصائد

السيد الحميري وقطعاته الشعرية (أنظر: سياحي، ١٣٨٢، ص ٤٩ و ٥٠).

الملاحظة الهامة التي لا بد من تسجيلها هنا، هي أنني لم أقف على كاتب وباحث تعرّض لشعر جوزف الهاشم، بهذا الشكل الذي درس في المقال الذي بين أيديكم. إلا أن أحد المؤلفين في كتاب يحمل عنوان «الإمام علي عليه السلام في الفكر المسيحي المعاصر» قد أشار إشارة عابرة إلى بعض أبياته (١٢ بيتاً) التي أنشدها في مديح الإمام المرتضى عليه السلام بشيء من التحليل والتفسير (أنظر: هيفا، ١٤٢٦، ص ١٧٤ و ١٧٥).

وأما السؤال الأساسي الذي يبحث عنه المقال، فهو: ما هي الخصائص المضمونية والأسلوبية لعلويات جوزف الهاشم في مدح الإمام علي عليه السلام؟ والفرضية الأساسية لهذه المسألة هي أنه

استطاع أن يمزج بين مناقب الإمام عليه السلام الذائعة ومتطلبات الأمة الإسلامية في أسلوب يمتاز بالجمع بين النزعة التجديدية والتقليدية.

عرض الموضوع

شاعرنا، جوزف الهاشم (الوزير السابق)، ولد سنة ١٩٣٥، في قرية «برجين» (منطقة الشوف) بלבنا في أسرة يقال إنها تنتمي إلى دوحة الإسلام والشيعية من حيث العقيدة والثقافة. وبعد أن أتم دراسته الابتدائية، انضم إلى مدرسة «الحكمة» وتابع فيها دراسته الثانوية، ثم اختار فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة «سن جوزيف» ولما تخرج منها، أخذ يدرس في المدارس والمعاهد العلمية ويعمل أيضاً في الجرائد والصحف، ثم انضم إلى حزب «الكتائب» وساهم في تأسيس قسم «صوت لبنان» من إذاعة لبنان وعكف على النشاطات السياسية والثقافية وشغل بعض المناصب الحكومية. مثل؛ وزارة الاقتصاد، ووزارة البرق والبريد، ووزارة الشؤون الاجتماعية والعلاقات وعديداً من المناصب السياسية. والجدير بالذكر أنه سافر إلى سورية وإيران وشارك في عديد من المؤتمرات الثقافية والأدبية منشداً قصائد رائعة في مديح آل الرسول عليهم السلام.

شاعرنا، جوزف الهاشم، عاش طفولته في أحضان أسرة تتغنى بانتمائها إلى أهل البيت عليهم السلام وتردد قصصهم وفضائلهم بالفخر والاعتزاز؛

منذ أن كنت فتياً، كان محيطنا العائلي يتغنى بانتسابه إلى أهل البيت، وجُل ما كان يستهويه في مجالس المفاخرة بالأصول، أن يستذكر الإمام علي بن أبي طالب، على أنه فارس الجهاد الأول وبطل امتشاق ذي الفقار (الهاشم، ١٤٢٠، ص ١٠).

وأول حقيقة أخذ يبحث عنها في ريعان شبابه هي معرفة حقائق أهل البيت عليهم السلام :
ورحت - وأنا على مقاعد الدراسة - أنمي هذا الحس المبكر بالمطالعة، مترصداً الملمين بحقائق أمير المؤمنين لعلّي اكتشف جوانب شخصيته، التي ارتسمت في ذهني الياض، كما ترسم صورة الأبطال في أذهان الأطفال (الهاشم، ١٤٢٠، ص ١٠).

وبعد أن استهوته شخصية الإمام عليه السلام أخذ يتتبع في مدرسة أهل البيت عليهم السلام قائلاً:
من تعرف إلى شخصية الإمام علي، استهوته... ومن استهوته، أثرت فيه... ومن أثرت فيه... اقتدي بها... ومن اقتدي بها، أصلح نفسه... ومن أصلح نفسه، تصالح مع الآخرين (الهاشم، ١٤٢٠، ص ١١).

يطالع نهج البلاغة بالإعجاب والحب والشغف ليلتقي مع الإمام عليه السلام ويتقرب منه؛ ومن دنا منه، سوف يعيش مع أفكار الإمام عليه السلام وعقائده:

ومن قرأ نهج البلاغة، أعجب بعلي... ومن أعجب به، أحبه... ومن أحبه، تقرب منه... ومن تقرب منه... التقى معه... ومن التقى معه، تلاقى مع سائر الأديان والناس (الهاشم، ١٤٢٠، ص ١١).

وها هنا يؤكد على دور أهل البيت عليهم السلام في إرشاد الأمة وما على الناس من حاجة ماسة إلى احتذاء حذوهم، ليكونوا على دقة وبصيرة في تحديد مصيرهم وحياتهم إلى يوم يبعثون: نحن في حاجة ملحة إلى تلمس دربه لنكرم بشريتنا به، وإلى استلهام الروحانية التي فيه، لتحطيم الوثنية التي فينا، ونبد عبادة آلهة الحجر، وآلهة اللحم، وآلهة الذهب... (الهاشم، ١٤٢٠، ص ١٢)

وقد اتضح لنا من خلال شعره أن ميوله نحو التشيع مبني على أساس الحب الصادق الناشئ من المعرفة الأصيلة والعميقة المتجذرة. ويقول العلامة فضل الله في هذا الصدد: وشاعرنا، الأستاذ جوزف الهاشم، هو في امتداده النسبي، هاشمي... وهو هو في قصائده الرائعة التي تهزك في علي والحسين وزينب عليهم السلام وكريلاء وقانا، فتعيش معها في آفاق السمو الروحي والعبقرية المبدعة، والشهادة، والenfوان... والماضي الذي يمنح الحضارة حركية الإنسان في امتداد الزمن، في حيوية الروح والبطولة والenfوان، بعيداً عن التعقيدات الطائفية القبلية (الهاشم، ١٤٢٠، ص ٨).

فها هو يبين سبب نزوعه إلى آل الرسول عليهم السلام مؤكداً على أن أهل البيت عليهم السلام ليسوا مختصين بالمسلمين والشيعة دون سواهم، بل أنهم إمام لكل من يصبو إلى الفضائل الأخلاقية الغراء ويسير نحو الصراط السوي:

لَيْسَ الْإِمَامُ فَتَى الْإِسْلَامِ وَحَدَّهُمْ
مَنْ كَانَ بِالشَّيْمِ الْغَرَاءِ مُعْتَصِماً
بِالنَّبْلِ، بِالْحَقِّ، بِالأَخْلَاقِ مَكْرَمَةً
وَلَيْسَ وَقفاً عَلَى أبنَاءِ شَيْعَتِهِ
بِالبِرِّ، بِالرِّفْقِ، بِالتَّقْوَى، بِخَلَّتِهِ
وَبِالشُّمُوحِ، فَهَذَا مِنْ سُلَالَتِهِ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٥٢)

أشهر آثاره

١. الفارابي؛ دراسة ونصوص (١٩٦٨ م).
٢. العلويات؛ مجموعة شعرية تضمّ مديح الإمام المرتضى وسيد الشهداء وعقيلة بني هاشم عليه السلام وكذلك في أدب المقاومة (١٩٩٩م). عناوين القصائد؛ الإنسان الكوني أو إمام لكلّ زمان: ١٩٩٨م / القرآن البشري (ذكرى ولادة الإمام عليّ بن أبي طالب، دمشق، مكتبة الأسد الوطنية: ١٩٩٦م / ضوء من الضوء (ذكرى ولادة الإمام عليّ عليه السلام : مؤتمر المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، مكتبة الأسد: ٢٢ كانون الأوّل، ١٩٩٣م / ذكر أهل البيت؛ مشعل الثورتين، بين زينب والحسين؛ مقام السيّدة زينب، دمشق، ٢٨ كانون الأوّل، ١٩٩٦م / عرس قانا؛ المهرجان الوطني العربيّ في اليوم العالمي للتضامن مع الجنوب؛ المعهد الفنّي الإسلامي، بيروت، ١٤ آذار، ١٩٩٧ م).
٣. صوت لبنان في حرب السنين؛ تحليل وتعليق (١٩٧٧م).
٤. أبو الطيّب المتنبّي؛ شاعر العنفوان والطموح (١٩٨٢م).

دراسة في صميم علويات الشّاعر من حيث المضمون

لقد فصلّ الشّاعر، القول في علوياته حيث يصف فضائل الإمام عليّ عليه السلام ويذكر مواقفه تجاه القضايا الإسلامية في صدر الإسلام. وفي الفكرة التي يريد أن يطرحها الشاعر، يشير إلى مواقف عليّ عليه السلام البطولية ونضالاته في سبيل الإسلام والإنسانية. فهو أخو النبي وصهره، أخوة ركائزها النسب والفخار والدين وسبقه في الإيمان. وهو وصيه كما صرح به يوم الغدير وسيفه الذي مزق الكفر والنفاق وأعلى بروج الإيمان. وكما كانت مواقف الإمام شامخة رائعة في سبيل الإسلام، كذلك كانت مواقفه من النبيّ، محبة وطاعة وفداء. فيتجلّى ذلك كلّ في تاريخ الإمام المنير عبر مسيرة الرّسول صلّى الله عليه وآله الجهادية، وفي المعارك التي خاضها ببسالة وشجاعة. وقد رأى الشّاعر أنّه خير البرية بعد الرّسول صلّى الله عليه وآله والفضل الذي أنعم به الله عليه خالد لا يزول، حسبه أنّه صهر النبيّ صلّى الله عليه وآله والإمام العادل والمجاهد في سبيل الدين وقيم الحقّ. إنّه الذي رفع راية الإسلام والإيمان في مواقع بدر، أحد، خندق، خيبر، حنين و... في الوقت الذي عجز فيه كبار الصحابة والمسلمين عن مناصرة الإسلام والرّسول صلّى الله عليه وآله.

أما الخلافة فهي لعلّي عليه السلام وقد أوصى بها الرسول ﷺ منذ إنذار عشيرته الأقربين إلى يوم الغدير في حجة الوداع. فيمضى الشاعر يستعرض تاريخ الخلافة الإسلامية في موقف حيادي يظهر الصراع بين المسلمين مؤرخاً تلك الوقائع والمعارك التي كانت سائدة على الأمة الإسلامية بعد رحيل الرسول ﷺ في فئنة «سقيفة بني ساعدة»، كما يشير إلى مواقف الإمام عليه السلام الرسالية في الذود عن الإسلام والتأكيد على الوحدة والتضامن بين المسلمين.

وهنا نشير إلى عدد من المضامين التي تفتن الشاعر فيها:

١. نسب الإمام عليه السلام:

الإمام عليه السلام من خيرة الناس حسباً ونسباً، هو وليد بيت الله وربيبه وشهيد، سيرته ومسيرة حياته من مهد ولادته إلى يوم لقاء ربه، ما هي إلا مسيرة مرتبطة مع الله سبحانه وتعالى، ورسوله المكرّم ﷺ، وهذا يدلّ دلالة قاطعة على طيب دوحته وكرامة وجهه، كما يدلّ على الوحدة والتلازم بين الرسالة والولاية:

| | |
|---|--|
| نِعْمَ الْعَلِيُّ وَنِعْمَ الْأَسْمُ وَاللَّقَبُ | يَا مَنْ بِهِ يَشْرَبُ الْأَصْلُ وَالنَّسَبُ |
| الْبَازِحَانُ: جَنَاحُ الشَّمْسِ ظُلُمَا | وَالهَاشِمِيَّانُ: أُمُّ حُورَةَ وَأَبُ |
| لَا قَبْلُ، لَا بَعْدُ، فِي بَيْتِ الْحَرَامِ شَدَا | طِفْلٌ، وَلَا اعْتَزَّ إِلَّا بِاسْمِهِ رَجَبُ |

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢١)

٢. أسبقية الإمام عليه السلام في الإيمان:

إنّ أسبقية علي عليه السلام في الإيمان حقيقة مشهورة تعدّ من الأمور المسلّم بها عند كافة المسلمين. وهاهو جوزف الهاشم يتحدث عن إيمانه المبكر والسابق على إيمان كل المسلمين شيباً وشباناً، تأكيداً على أنّه أسبق الناس في إعلان إيمانه وتصديقه بالرسالة السماوية الأخيرة:

| | |
|---|--|
| يَوْمَ الْفَسَادِ طَغَى، وَالْكَفَرُ مُنْتَشِرٌ | وَعَطَّرَسَ الشِّرْكَ، وَالْأَوْثَانُ تَنْصَبُ |
| اللَّهُ كَرَمَهُ، لَا «لِلْسُّجُودِ» لَهَا | وَلَا بِمَكَّةَ أَصْنَانًا وَلَا نُصَبُ |

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣١)

نعم، هو وليد الكعبة بلاشك، ولادته مقرونة بمولد نور الإسلام الذي برز من بيت القبلة

المحمدية:

هُوَ الْإِمَامُ، فَتَى الْإِسْلَامِ تَوَّامُهُ مُنْذُ الْوِلَادَةِ، أَيْنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ؟
تَلَقَّفَ الْبَدِينُ سَبَاقًا يُؤَرِّجُهُ صَدَرَ النَّبِيِّ، وَبَوَّحَ الْوَحْيِ يَكْتَسِبُ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٢)

فهو سيف الله ورسوله وإمام وسيد للمسلمين منذ أن كان طفلاً:

يَدُ النَّبُوءَةِ شَدَّتْ عَزَمَ سَاعِدِهِ وَأَطْلَقَتْهُ إِمَاماً مِنْ طُفُولَتِهِ
فَكَانَ ظِلُّ رَسُولِ اللَّهِ، «كَاتِبَهُ» وَأَوَّلَ الْقَوْمِ إِيْمَاناً بِدَعْوَتِهِ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٥)

٣. الجهاد في سبيل الله وخوض المعارك بشجاعة:

وهنا يشيد بمواقف علي عليه السلام ونضالاته في سبيل الإسلام والقرآن ويتجلى ذلك كله في تاريخ الإمام عليه السلام النضر، عبر مسيرة الرسول الجهادية وفي المعارك التي خاضها ببسالة وثقة. هو يصفه بسيف الله ورسوله وأعظم مجاهد في الإسلام، حيث رفع راية الرسالة الغراء في موقعة بدر وأحد وخنديق وحنين. هو الذي وقف نفسه لله والرسول والإسلام وبات في فراشه (ليلة المبيت) دونما خوف أو وجل، كما اقتلع باب حصن خيبر المنيع في الوقت الذي عجز فيه كبار الصحابة:

سَيْفُ الْجِهَادِ، فَتَى، لَوْلَاهُ مَا خَفَقَتْ لِدَعْوَةِ اللَّهِ، رَايَاتٌ وَلَا قُبُوبُ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٣)

تَجَسَّدَتْ كُلُّ أَوْصَافِ الْكَمَالِ بِهِ فِي وَمَضِ سَاعِدِهِ الْإِعْصَارُ وَالْفُضْبُ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٤)

هُوَ الْإِمَامُ، «حَسَامُ الْبَدِينِ»، فَارِسُهُ مَا زَعَرَدَ السَّيْفُ إِلَّا بَيْنَ قَبْضَتِهِ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٥)

٤. العلم والأدب:

ليس الإمام عليه السلام رجل الشجاعة والبسالة فقط، بل هو منهج الفصاحة والبلاغة أيضاً:

الأستاذ، «الهاشم»، يشير في مواقف كثيرة إلى غزارة علوم علي عليه السلام وعمق معارفه:

فَتَّوَاهُ قَاطِعَةٌ وَحَدُّ لِسَانِهِ حَكْمٌ، وَحَدُّ حُسَامِهِ الْإِحْكَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢١)

عَلَى مَنَابِرِهِ، أَشْدَاءُ خَاطِرِهِ
وَمِنْ جَوَاهِرِهِ، الصَّادِحَةُ الْخُطْبُ
وَفِي رَسَائِلِهِ، أَضْوَاءُ نَاطِرِهِ
وَمِنْ مَنَائِرِهِ، تُسْتَمَطَّرُ الْكُتُبُ
إِنْ جَلَّجَلِ الصَّوْتُ هَدَارًا «بِقَاصِبَةٍ»
كَالْبَحْرِ هَاجٍ، وَهَلَّتْ مَاءَهَا السُّحُبُ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٥)

الإمام عليه السلام وهو «حجة الله» و«سيد البيان» و«باب العلم» الذي نهل علوم القرآن ومعارفه. وما نهج البلاغة إلا ثمرة أنسه بالقرآن ورعايته:

سَيِّدُ الْبَيَانِ، وَ«بَابُ الْعِلْمِ» مُشْتَرِعًا
يَعْبُ مِنْ مَنَهْلِ الْقُرْآنِ، يَحْفَظُهُ
لِسَانُهُ حُجَّةً لِلْمُشْرِكِينَ إِذَا
وَأَلْفَقَهُ مُذْ كَانَ نَهْجٌ مِنْ بِلَاغَتِهِ
وَ«النَّهْجُ» كَالْبَحْرِ، فَاعْرِفْ مِنْ غَزَارَتِهِ...
ضَاقُوا بِحُجَّتِهِ، هَانُوا بِسَاحَتِهِ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٥ و٤٦ و٤٨)

إنه يصور لنا عمق العلاقة بين القرآن ونهج البلاغة بقوله (يعب... فهذا يعني أن الإمام علياً لم يحفظ القرآن حفظ القارئ له فحسب، بل المقصود بذلك أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الأذن الواعية التي نهلت علوم القرآن ومعارفه، وهو الصدر الرحب الذي اختزن كل كلمة من كلمات الحبيب المصطفى، فحفظها ووعاها ورعاها، بل وعمل أيضاً على ترجمتها عملياً في كل حركة من حركات وجوده قولاً وفِعْلاً (هيفا، ١٤٢٦، ص ٣٣٣).

٥. الزهد والتقوى وخصاله الأخرى:

الزهد والتقوى والعبادة لدى الإمام علي عليه السلام كان من أجل الله ذاته، لا من أجل الطمع بالجنة أو الخوف من النار، وهذا هو التأله الحقيقي وتلك هي عبادة الأحرار الصادقة: (أنظر: هيفا، ١٤٢٦، ص ٧٠٨)

يَا زَاهِدًا بِالْحُكْمِ وَ«التَّحْكِيمِ» مَا
«سَلِمْتَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ» وَقَامُوا
أُكْرِمْتَ فَصْدَكَ يَا أَمِيرَ زَهَادَةٍ
«لَوْلَا التَّقَى وَالِدَيْنُ» لَانْتَهَمَرْتَ عَلَيَّ
كَفَيْكَ أَعْنَاقُ، وَجُنَّ جِمَامُ
إِلَّا لِرَبِّكَ هَامٌ، وَأَنْطَوَتْ رُكْبُ
مَنْذُورَةٌ نَفْسُهُ لِلَّهِ، مَا سَجَدَتْ
يَصُومُ، وَيُطْوِي، وَزُهْدُ الْأَرْضِ مَطْمَحُهُ
وَالْخَلُّ مَأْكَلُهُ، وَالْجُوعُ وَالْعُشْبُ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢٢٠)
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢٥)
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٢)

يَخْتَالُ فِي تَوْبِهِ الْمَرْقُوعِ، مُرْتَدِيًا عَبَادَةَ اللَّهِ، فَهِيَ الْغَايَةُ الْأَرْبُ
مَنْ رَضِعَ الْهَامَ بِالتَّقْوَى، فَإِنَّ عَلَيَّ أَقْدَامِهِ، يَسْفَحُ الْإِبْرِيذُ وَالذَّهَبُ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٤)

أو في المقطوعة التالية، حيث يذكر الشاعر عدداً آخر من فضائل الإمام عليؑ ومواقفه تجاه بعض القضايا الإسلامية وجهاده في سبيل الإسلام.

الصَّفْحُ وَالْعَفْوُ بَعْضُ مِمَّا آتَرَهُ وَبَعْضُهُ الْبِرُّ، أَمْ مِنْ بَعْضِهِ الْأَدَبُ
مَحَجَّةُ النَّاسِ، «أَفْضَاهُمْ» وَأَعْدَلُهُمْ أَدَقُّ، أَنْصَفُ، أَدْعَى، فَوْقَ مَا يَجِبُ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٤)

يَذُودُ عَنِ حُرْمَاتِ الْحَوْضِ يَحْرُسُهَا وَالْحَمْدُ وَالْحَلْمُ بَعْضٌ مِنْ طَهَارَتِهِ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٧)

٦. الوصاية والخلافة

إنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ جعل من الإمام المرتضى عليؑ أساساً ومنطلقاً لدعوته الجديدة المباركة، حيث أخذ ميثاق خلافته وولايته من النَّاسِ جميعاً. إذاً فالإمام عليؑ هو وصيه وخليفته الشرعي على أمته من بعده، حيث بين ذلك لعموم النَّاسِ منذ اللَّحْظَاتِ الْأُولَى لشروق الرِّسَالَةِ ببيعة الدار وإنذار عشيرته الأقربين، ثم في مواقف كثيرة، خاصة موقف الغدير في السنة العاشرة من الهجرة بموسم الحج. ويزيد الشاعر على ذلك قائلاً: إنَّ مَوْأَمِرَةَ «السَّقِيْفَةِ» لَا تَحْطُّ مِنْ شَأْنِ الْإِمَامِ عليؑ رغم أنَّهَا كَانَتْ فَاتِحَةً لِلدَّسَائِسِ وَالانْشِقَاقِ بَيْنَ الْأُمَّةِ:

هُوَ الْوَصِيُّ عَلَى الْمِيثَاقِ، مُؤْتَمَنٌ بَعْدَ النَّبِيِّ، عَلَى الْقُرْآنِ مُتَدَبِّ
هُوَ الْخَلِيفَةُ، مَا شَأْنُ «السَّقِيْفَةِ» إِنْ طَفَعَتْ عَلَى أَهْلِهَا الْأَهْوَاءِ وَالرَّتَبِ
«أُنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْقُرْبَى»... لَقَدْ سَمِعُوا مَا قَالَ رَبُّكَ، إِنْ لَمْ يَفْهَمُوا كَذَبُوا
وَزِيرُهُ فِي «حَدِيثِ الدَّارِ» مَا فَطَنُوا «وَلِيٌّ مَنْ كَانَ مَوْلَاهُ»... فَمَا احْتَسَبُوا
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٥-٣٦)

و هكذا يستعرض «حديث الغدير» وأية «التبليغ» :

هُوَ الْعَلِيُّ، وَصِيُّ الْبَارِثِ، فَابْتَهَجُوا وَوَزَعُوا الْبُشَيْرَ، وَاحْكُوا عَنِ وِلَايَتِهِ
«وَلِيٌّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ» وَسَيِّدُهُ يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ سِيرُوا تَحْتَ رَأْيَتِهِ
يَحِبُّهُ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، يَبْغِضُهُ مَنْ أَبْغَضَ اللَّهَ، يَقْضِي فِي ضَلَالَتِهِ
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ، يَا إِسْلَامُ، دِينَكُمْ فَسَبِّحُوا اللَّهَ فِي إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٩-٥٠)

٧. الشَّهادة

كان لاستشهاد الإمام عليه السلام في شعر هذا الأديب المسيحي مكانة مرموقة. إنَّه يرى أنَّ الأمة الإسلامية، بل الإنسانية، قد خسرت برحيل الإمام المرتضى إلى جوار ربِّه، جلَّ شأنه. وفي حديثه عن استشهاد الإمام عليه السلام أثناء صلاة الصبح يشير إلى تلك العبارة الخالدة التي قالها الإمام عليه السلام، حيث قالها إثر تلقيه تلك الطعنة القاتلة: «فزتُ وربَّ الكعبة». وذلك خط اشتاق إليه جميع أهل البيت عليه السلام ونشروه مدى التاريخ لحمل راية الإسلام والقرآن:

يا «إبن مُلجَم» إنَّ سَيفَكَ خَاسِيٌّ ألسَّيفُ زَيْفٌ والرَّدَى أَوْهَامُ
ظَفَرَ العَلِيِّ، وفَازَ يَوْمَ سُقُوطِهِ وَسَما، وَربُّ الكَعْبَةِ العَلَامُ
أمَّ الصَّلَاةَ مُضَرَّجاً بِدَمِ التُّقَى وَكَأَنَّما الجُرْحُ المُمِيتُ وَسَامُ
وَكَأنَّ أهْلَ البَيْتِ، ما اشْتاقُوا سِوَي دَرَبِ الشَّهادَةِ، وَالجِهَادُ مَرَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ١٨)

وبالطَّبع، لم يكن استشهاد حادثة مفاجئة فقط، بل صار أيضاً رمزاً للصمود والبقاء والتَّضحية والخلود في سبيل العقيدة لا للمسلمين فحسب، بل لكلِّ من يريد أن يعيش حراً كريماً صامداً في عقيدته:

هَلْ يَنْطَوِي دِينٌ وَأَنْتَ شَهِيدٌ وَلَئِهْ بِشَمَخَةٍ مَنكَبِيكَ دِعَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢٥)

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنَّ هذه المضامين التي استعرضها الشَّاعر، لا تعدُّ من المضامين التي لم تكن لها سابقة في الشعر الشيعي، بل الملاحظ أنَّ شعراء الشيعة تعرَّضوا لمثل هذه المضامين منذ القديم ويومنا هذا. وأمَّا أهمية جوزف الهاشم الشَّعرية، فهي إنَّه قد أودع شعره آراء جديدة وانطباعات حديثة، فكان شعره عن حياد وصراحة ودقَّة وانصاف وبصيرة وحبِّ. ولقد صدق شاعرنا المولوي قائلاً: من الأحسن أن تجري أسرار الحبيبات على ألسنة الأغيار:

خوشتر آن باشد كه سرِّ دلبران گفته آيد در حديث دېگران

(مولوي، ١٣٦٠، (دفتر اول)، ص ٧)

أسلوب العلوّيات

١. الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف:

لقد بلغ الإمام عليّ عليه السلام في نظر الأستاذ المفكر، جوزف الهاشم، درجة الكمال والسموّ في قربه من الله، سبحانه وتعالى، ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله؛ ولذلك فإنّه استشهد بكثير من الآيات أو الأحاديث التي وردت في القرآن الكريم أو كتب المسلمين.

ولو توجّهنا إلى هذا الشاعر المسيحي في هذا المجال، لوجدناه يصرخ بصوت عال؛ عليّ عليه السلام كان مع القرآن والرسول صلى الله عليه وآله، والقرآن والرسول صلى الله عليه وآله كانا مع عليّ عليه السلام؛ ومن الملاحظ في أشعاره أنّه يعلّق أحياناً على بعض الآيات، مشيراً إلى الآيات والروايات ممّا يدلّ على إمامه بالقرآن والأخبار. فمثلاً يقول تعليقاً على البيت التّالي:

«أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْقُرْبَى»... لَقَدْ سَمِعُوا مَا قَالَ رَبُّكَ، إِنْ لَمْ يَفْهَمُوا كَذَبُوا

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٥)

إنّه يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)

ويقول أيضاً بعد البيتين التّاليتين:

أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ، يَا إِسْلَامَ، دِينَكُمْ فَسَبِّحُوا اللَّهَ فِي إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ...
إِنْ يَجْهَلِ النَّاسُ، وَالتَّنْزِيلُ مُرْتَسَمٌ «قُمْ يَا رَسُولُ وَبَلِّغْ وَحْيَ آيَاتِهِ»

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٥٠)

يدلّنا البيتان على آية التّبليغ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ

الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)

فهذه الآية الشريفة نزلت في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة في السنّة العاشرة من الهجرة في غدير خم، بعد الرجوع من حجّة الوداع. واثّر ذلك أوقف النّبيّ صلى الله عليه وآله المسلمين وخطب خطبة طويلة ذكر فيها حديث الثّقلين ثمّ أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال: «ألسنّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» وبعد هذا التّبليغ، نزلت الآية الشريفة التي مرّ ذكرها (نقلاً عن: سيّاحي، ١٣٨٢، ص ٨؛ نقله عن: التفسير الكبير، ج ١٢، ص ٤٩-٥٠؛ والمستدرک على الصّحّاحين، ص ٩١٧؛ وتاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١١-١١٢).

ويشير إلى قول للإمام علي عليه السلام يردّ به على من يتّهمه بجهل خدع الحرب:

«لولا التقي والدين» لانهمرت علي كفيك أمناق، وجنّ حمام

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢٥)

وقول الامام عليه السلام هو: «لولا التقي لكنت أدهى العرب» (بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١٥٠)

وقوله:

إن بردت هدىة التنزيل ساعده كان القتال على «التأويل»، والغلب

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٣)

إشارة إلى كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام المرتضى عليه السلام: «إنك تقاتل على تأويل القرآن كما

قاتلت على تنزيهه» (أنظر: تاريخ الخلفاء، ١٧٣). وفي هذا البيت:

محجة الناس، أفضاهم وأعدلهم أدق، أنصف، ادعى، فوق ما يجب

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٤)

يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضاكم علي عليه السلام» (بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٤٤).

أو:

وزيره في حديث الدار، ما فطنوا «ولي من كان مولاة»... فما احتسبوا

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٦)

يشير إلى حديث الدار حيث جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني هاشم وأندرهم، ثم قال في الإمام

علي عليه السلام:

«هذا أخي ووصيي ووزير، ووارثي، وخليفتي من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا» (أنظر:

الطبري، دون تا، ج ٢، ص ٦٣).

وفي المصراع الثاني، يشير إلى قول آخر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاة فعلي مولاة» (أنظر:

سياحي، ١٢٨٢، ص ٨؛ نقله عن: تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١١١-١١٢).

ما جاع مئاً فقير، طوع ساعده إلا بما متعت أشداق من نهبوا

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤١)

يشير إلى قول للإمام علي عليه السلام: «فما جاع فقير إلا بما متع به غني» (نهج البلاغه، ١٣٨٤،

ح ٢٢٨، ص ٥٣٣).

وفي قصيدته «ضوء من الضوء» يقول:

يَطِيلُ كَالضَّوِّ مِنْ ضَوْءٍ وَيَنْشُرُهُ كَالْبَدْرِ يَعْكُسُ شَمْساً وَهَجَّ جَبْهَتَهُ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٥)

تدلنا على قول للإمام عليه السلام: «أنا من الرسول كالضوء من الضوء» (نهج البلاغه، ١٣٨٤،

الرسالة ٤٥، ص ٤١٨).

وفي:

سَيِّدُ الْبَيَانِ، وَ«بَابُ الْعِلْمِ» مَشْتَرِعاً وَالْفَقَهُ مُذْ كَانَ، نَهَجٌ مِنْ بِلَاغَتِهِ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٥)

يشير إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (أنظر: المستدرک على

الصحيحين، ج ٢، ص ١٢٦).

أو يقول:

عَلَى يَدَيْهِ يَتِمُّ الْفَتْحُ، كَمْ خَفَقَتْ «سُيُوفُ رَبِّكَ» ظِلًّا فَوْقَ جَنَّتِهِ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٧)

الذي يشير فيه إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر: «لأعطين هذه الرأية غداً رجلاً يفتح

الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» (صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٧١).

وفي هنا:

كَمَثَلِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِمَنْزِلَةٍ إِلَّا النُّبُوَّةَ، «تَبْقَى رَهْنٌ سَاعَتِهِ»
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٩)

يشير إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام وقد خلفه في غزوة تبوك:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي» (صحيح مسلم،

ج ٤، ص ١٤٩٠).

وله أيضاً حيث يقول:

يَحِبُّهُ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، يَبْغِضُهُ مَنْ أَبْغَضَ اللَّهَ يَقْضِي فِي ضَلَالَتِهِ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٥٠)

ولقد أشار الشاعر إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد

أحبّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله» (أنظر: تاريخ الخلفاء، ص ١٧٣).

وفي قصيدته «ذكرى أهل البيت عليهم السلام»:

اللَّهُ طَهَّرَهُمْ... بِالنَّوْحِيِّ كَاللَّهُمْ بِالْبِرِّ جَلَّهُمْ... بِالأَعْرَقِ الشَّيْمِ
«وَأَذْهَبَ الرَّجْسَ عَنْهُمْ، إِنَّ عَصَمَتَهُمْ مَعْقُودَةٌ، لِكِتَابِ اللَّهِ وَالْقِيمِ
يشير إلى «آية التطهير»: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً» (الأحزاب: ٣٣)

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذا اللون كان وسيلة للشعراء الشيعة في الاحتجاج والاستدلال أمام المخالفين والمناوئين. وهذا شاعرنا، «ابن الرومي»، يؤكد على هذه الفضائل القرآنية لأهل البيت عليهم السلام، موبخاً الناس لما غفلوا عن تلك الآيات والفضائل:

لَقَدْ عَمَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ كَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ مُمَجَّمٌ

(ابن الرومي، ١٩٧٤، ج ٢، ص ٤٩٢)

وكذلك «الكميت بن زيد الأسدي» احتجّ بمثل هذه الآيات التي نزلت في شأن أهل البيت عليهم السلام:

وَوَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً تَأْوَلُّهَا مِنَّا تَقِيٍّ وَمَعْرِبُ
وَفِي غَيْرِهَا آيَا وَأَيًّا تَتَابَعْتُ لَكُمْ نَصَبٌ فِيهَا لِذِي الشُّكِّ مُنْصَبُ
(الصّالح، ١٤٠٨، ص ٤٢)

ولا يفوتنا هنا أن موقف جوزف الهاشم من الإمام عليه السلام يشبه بمواقف «أبي الأسود الدؤلي» الذي يسمّى الإمام عليه السلام بأسماء خاصة، بحسب الأحاديث التي كانت مشهورة بها. منها: «المولى» و«الوصي» (أنظر: الفندي، دون تا، ج ١٤، ص ٦١). ولعله جعل «السيد الحميري» - الذي قيل فيه كان أحذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر (ابن المعتز، دون تا، ص ٢٢) - أسوة لشعره في مديح الإمام عليه السلام.

٢. التلميح بالحوادث التاريخية:

يرى الأستاذ، جوزف الهاشم، أن سبب الشقاق في الأمة الإسلامية منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا، عائدٌ إلى سقيفة بني ساعدة. بينما كان الإمام الذي نذر نفسه لخدمة

الرّسالة وصاحب الرّسالة، يقوم بغسل الرّسول ﷺ وتكفينه والصّلاة عليه ودفنه، فوجئ بأنّ أقرب الأصحاب إلى الرّسول ﷺ كانوا منشغلين عن الصّلاة على الرّسول ﷺ ودفنه بشيء آخر، لقد كانوا منشغلين عن حال رسولهم الكريم ﷺ بتوزيع المناصب وإرضاء الخواطر بينما تركوا جثة الرّسول ﷺ للذين لا تشغلهم المناصب والكراسي عن أمر رسولهم والصّلاة عليه ودفنه. في الحقيقة أنّ إبعاد عليّ عليه السلام عن خلافته الشّرعية الموكّلة إليه بنصوص إلهية واضحة وبأحاديث نبويّة شريفة في مواضع عديدة لم يكن إلّا مؤامرة تدلّ على التمرد الواضح على النصّ الإلهيّ والنّبويّ (أنظر: هيفا، ١٤٢٦، ص ١٩٤-١٩٧). فهناك قضايا تاريخيّة أخرى استعرضها الشّاعر نعرض عن ذكر تفاصيلها خوفاً من الإسهاب في الكلام (قضيه الإقطاع والنفير العام في زمن عمر: ٢١ و٣٧/ وتبعيد أبي ذر: ٢٢/ وقضية ليلة المبيت: ٣٢/ غزوات الرّسول: ٣٣ و٤٧/ قضيه السبقة: ٣٥ و٣٦ و٥٠/ قضية الغدير: ٤٨ و٤٩ و٥٠). فنختار من بينها قضية السقيفة عن لسان الشّاعر الذي يقول:

| | |
|--|--|
| تَلَوَّاكَ، يَا يَوْمَ «السَّقِيفَةِ» مَا التَّوَتَّ | تَلِكَ الصُّفُوفُ، وَنُكِّسَتْ أَعْلَامُ |
| ضَلَّتْ بِأَحْلَامِ النَّفُوسِ غَرَائِزُ | فَطَفَى الْهَوَى، وَأَخْتَلَّتِ الْأَحْكَامُ |
| وَتَبَرَّمَتْ رُوحَ الرَّسُولِ عَلَيَّ وَنَى | وَالْإِحْتِضَارُ، تَحْتَهُ الْأَلَامُ |
| يَطُوي هُنَيْهَاتِ الْوَدَاعِ، وَهَالَهُ | أَنْ يَسْتَبَاحَ الْوَحْيِ وَالْإِلَهَامُ |
| فَدَعَا إِلَى التَّسْوِينِ، إِلَّا أَنَّهُمْ | حَطَفُوا الدَّوَاةَ، وَضَاعَتِ الْأَقْلَامُ |

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ١٩)

وفي المضمون نفسه ينشد:

| | |
|---|--|
| نَقَضُوا «حَدِيثَ الدَّارِ» وَ«السَّقِيلِينَ»، هَلْ | صَدَقُوا؟ وَهَلْ وَحْيُ الْغَدِيرِ غَمَامُ |
| فَتَجَادَبَتْ إِرْتِ النَّبِيِّ نَوَازِعُ | فَكَأَنَّهَا إِرْتِ النَّبِيِّ حَطَامُ |
| قَضُوا عَلَى رَمَقِ النُّبُوَّةِ هَجْعَةً | لَا الْمَوْتَ خَشَّعَهُمْ وَلَا الْأَحْلَامُ |
| وَوَصَّيَهُ الشَّرْعِيَّ مَسْكَبَ عَلَيَّ | نَعَشَ الرَّسُولِ وَفِي الصَّمِيمِ ضِرَامُ |
| فَتَطَلَّيْتُ يَمَنَاهُ تَغْسِلُ جَسْمَهُ | وَشَدَى النَّفُوسِ تَبْتُهُ الْأَجْسَامُ |
| وَسَرَّتْ بِأَبْنَاءِ الْعُمُومَةِ رِعْشَةً | فَتَلَقَّفَتْ أَوْصَالَهَا التَّارْحَامُ |

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢٠)

٣. استدعاء الشّعر العربيّ القديم:

شاعرنا، جوزف الهاشم، كان محافظاً على التّراث الشّعريّ القديم في علوياته؛ من حيث

الأسلوب والمضمون، كما يبدو في شعره. إنه أحياناً يحملنا في شعره الذي يصف فيه ملاحم الإمام عليه السلام إلى جو من العجاج، بحيث لا نبصر فيه سوي ومضات الشفّار ولا نسمع فيه غير قعقة السلاح. وفي هذا المجال يتداعى لنا «أبو تمام» و«المتنبي»، كما نلمس في شعره، عاطفة صادقة قوية تشبه الشعراء الشيعة في العهد العباسي مثل: الكميت والسيد الحميري ودعبل الخزاعي. فهذا نستطيع أن نقول: إنه رجل التراث والعقيدة؛ فكان شعره قوياً تتجلى القوة في معناه ومبناه؛ حافل بذكر العظمة والبطولة ووصف المعارك والغزوات معتمداً على القرآن والحديث والتاريخ والقدرة على استعمال التراكيب الشعرية ومتانة الجمل وصلابة الألفاظ والحروف الضخمة، كما كان شأن المتنبي في مديح سيف الدولة الحمداني.

إنه طفق يصف خوض الإمام عليه السلام المعارك وغمرة القتال ويشير إلى استذكاره الإمام عليه السلام في الشهادة والجهاد؛

إِنِّي ذَكَرْتُكَ فِي الشَّهَادَةِ، وَالْوَعْيِ وَعَلَى يَدَيْكَ يَزْعَرِدُ الصَّمْصَامُ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢٥)

هذا المشهد التناصي يذكرنا بـ«عنترة بن شداد» حيث يكشف عن بطولته الخارقة وخضمه المعارك وهو يستحضر حبيبته «عبله»:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ مَنِّي وَبِيضُ الْهَنْدِ تَقَطَّرَ مِنْ دَمِي
(عنترة بن شداد، ١٩٩٧، ص ٦٣)

وفي هذا البيت يصف شجاعة الإمام عليه السلام وبطولته في الغزوات المشهورة:

أَيَّامَ «بَدْرٍ»، «حُنَيْنٍ»، «خَنْدَقٍ»، «أَحُدٍ» وَالْبَيْدُ وَالصَّيْدُ تَحْكِي عَنْ بَطُولَتِهِ
(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٤٧)

يتداعى لنا «المتنبي» حيث يصف في «ميميته» المعروفة شجاعة نفسه وجلادته وأدبه؛ الليل يعرفه، لكثرة سراه فيه، وطول أذراعه له، والخيل تعرفه لتقدمه في فروسياتها، والبيداء تعرفه بمداومته لقطعها، واستسهال صعبها، والحرب والضرب يشهدان بحذقه بهما وتقدمه فيهما والقرطاس يشهد له لإحاطته بما فيها، القلم عالم بإبداعه فيما يقينه؛

فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
(المتنبي، ١٤١٨، ج ٣، ص ٢٨)

٤. الجمع بين مديح أهل البيت وأدب المقاومة:

المرج بين ذكري خصائل أهل البيت عليهم السلام العديدة وأدب المكافحة وقيم المقاومة الفلسطينية واللبنانية يعدّ من السمات البارزة في شعر شاعرنا المسيحي. إنّه يستغيث بالإمام عليه السلام ليعود مرّة أخرى إلى هذه الدنيا الدنيّة، ويملاً تاريخ المسلمين بالعدل والشجاعة والكرامة والطّهارة بعد أن مُلأ فساداً وخوفاً وجوراً ومكراً وخيانة؛ ثمّ يسرد ما حلّ بالمسلمين من التفرقة والتخاذل والتّهاون ويدعو الإمام عليه السلام ليكسر حواجز الخوف والخنوع والاعتداء المسيطر، مثل ما فعل في أبان تأريخ الإسلام. وبلغ شاعرنا الذروة في استثارة العواطف حين يقارن بين حياة المسلمين في القديم وما حلّ بهم في عصرنا الراهن:

| | |
|---|--|
| عُدْ يَا إِمَامُ، فَلْتَأْرِخْ دَوْرَتَهُ | وَالأَحْرَفُ السُّودُ وَشَتَّ بِيضَ صَفْحَتِهِ |
| ذَا حُصْنِ خَيْبَرَ، مِنْ بَعْدِ الْهَوَانِ عَلَا | يَغْتَابُ زَنْدَكَ مُعْتَدَاً بِقُوَّتِهِ |
| أَرْضُ الْقُدَّاسَاتِ مَادَتْ مِنْ مَفَاسِدِهِ | وَنَزَعَةُ الشَّرِّ ثَارَتْ فِي شِرَاسَتِهِ |
| يَحْصُنُ الظُّلْمَ وَالطُّغْيَانَ، مُفْتَرِساً | طَهَارَةَ الأَرْضِ، مَدْفُوعاً بِزَوْتِهِ |
| جَيْشِ الصَّحَابَةِ عَنْهُ ارْتَدَّ مُكْفِئاً | وَالأَنْقِسَامَاتُ بَاتَتْ مِنْ طَبِيعَتِهِ |

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٥٢)

وسرعان ما يقف على ما ذكره في الأبيات السابقة، ثمّ يتطرق إلى جوانب أخرى من حياة المسلمين التّعسة ويشير إلى أنّ المسلمين والعرب أشدّ احتياجاً اليوم إلى اتباع سنّة الإمام عليه السلام وخصاله الممتازة الرائعة، ويستعرض ما حلّ بالجنوب من الاعتداء والعدوان، مشيراً إلى ردود فعل الدول العربية من الاستسلام والصمت، ثم أخذ يستدعي الإمام عليه السلام ليعود إلى الجنوب ويجنّد الجماهير للتضحية والجهاد من أجل الهدف الأسمى؛ المقاومة والمكافحة ضدّ الظلم والكيان الصهيوني:

| | |
|---|--|
| عَلَى اسْمِ حَيْدَرَةِ خَاضِ الوَغَى أَسَدُ | وَبِيرِقِ النَّصْرِ مَعْقُودِ بِلْبَدَتِهِ |
| فِي التَّوَامِينِ صَهِيلٌ، وَالجَنُوبِ صَدَى | لِصَرَخَةِ الصَّمْتِ، فِي دُنْيَا عُرُوبِيَتِهِ... |
| عُدْ يَا إِمَامُ، فَإِنَّ السَّاحَ فِي ظَمَأٍ | لِذِي الفَقَارِ، وَأَجِجَ نَارَ وَمُضَتِهِ |
| هَزَّ الْمُهْتَدِ، تَدَدَكَ الحِصُونِ، أَمَّا | تَبَرَّمَ السَّيْفُ مَغْلُولاً بِهَدْيَتِهِ |
| مَا زَالَ يَذْكُرُ ذَاكَ الحِصْنَ صَوْلَتَهُ | بَشِيرَ جَهَنَّمَ، وَأَصْقَلَ حَدَّ شَفَرَتِهِ |

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٥٣-٥٤)

وأنت تجد في هذا كلّهُ، عاطفة جوزف الصادقة وروحه اللبناية- المسيحية، بل الشيعية

المقاومة التي أحسن الترجمة والتعبير عنها في شعره الفصيح. ومن هنا لا نبعد إذا قلنا إن لبنان أخذ يعرف في عصرنا الراهن، شاعراً مسيحياً آخر يفيض شعره فكرة وعقيدة. إنّه، كما رأيت، يجيش شعره بسيل دفاق من العاطفة والوجدان والعقيدة والمقاومة، وقلّما تحسّ فيه أنّه مسيحيّ من حيث العقيدة والدين، وإنّما يبدو لك وكأنّه شاعر مخلص شيوعيّ صدق ما عاهد الله في المكافحة ضدّ البغي والظلم، كالبنيان المرصوص. فترى بوضوح في الأبيات التي أنشدها الشّاعر العناية الربّانية التي منحها الله إيّاه. لقد استلهم الشّاعر في الأبيات التالية الصّمود والمقاومة من شخصية الإمام ؑ، التي هي رمز للمسلم الحرّ الأبويّ. وهنا ترى العناية الإلهية في خلق الأبيات التي كأنّها ألهمت قلب شاعرنا المسيحيّ بما يهزّ كيان الإنسان ويبعث الوعي واليقظة في الرّوح. شخصية الإمام ؑ هنا هي رمز البقاء والصمود التي يستدعيها الشّاعر لتوقظه من الغفلة وتهديه إلى الجهاد والمقاومة:

هَلْ يَنْطَوِي دِينَ وَأَنْتَ شَهِيدٌ وَكَلَهُ بِشِمَخَةٍ مَنكَبِيكَ دَعَامٌ؟...
أَوَلَسْتَ رَمَزاً لِلصُّمُودِ وَصَارِحَةً لِلْحَقِّ؟ أَنْتَ الْمَوْعِدُ الْبَسَامُ...
هَبِّي وَمِيضِكَ فِي الْجُنُوبِ مَقَاوِمًا لِأَلْمَوْتِ يَرُدُّعُنِي، وَلَا اسْتَسْلَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٢٥)

ثمّ يشكو شاعرنا، من أمة تتخبط في الظلمات والظنون والتهيه والاضطراب والفقر... التبس فيها الحلال بالحرام، والحقّ بالباطل، والصّحيح بالزائف ويستدعي الإمام ؑ ليمنح هذه الأمة، العدالة واليقظة واليقين والثبات والنور ويصلح ما فسد من الأخلاق والسياسة والحكم، كما عمل في إصلاح الأمة أيام خلافته:

قُمْ يَا إِمَامُ، فَإِنَّ اللَّيْلَ مَعْتَكِرٌ وَ«الْحِصْنَ» مُرْتَفِعٌ وَالْأُفُقُ مُضْطَرِبٌ...
قُمْ يَا إِمَامُ، وَسُنَّ الْعَدْلَ فِي وَطَنِ اللَّهُ أَعْلَمُ... أَيْنَ الرَّأْسُ وَالذَّنْبُ...
رَجُوتُكَ... اكْتُبْ لُوَالِيهِ، وَعَامِلِهِ مَالُ الْيَتَامَى حَرَامٌ، كَيْفَ يَسْتَلْبُ؟
مَا جَاعَ مَنًا فَقِيرٌ، طَوَّعَ سَاعِدَهُ إِلَّا بِمَا مَتَّعَتْ أَشْدَاقُ مَنْ نَهَبُوا
رَجُوتُكَ اكْتُبْ... عَلَى الْأَخْلَاقِ حُضَّعُهُمْ لِأَنَّ «مَنْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا»...

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٣٩ و ٤١)

ومن الملاحظ أنّ الشاعر يدعو في هذه الأبيات، الجماهير إلى تبعيّة أهل البيت ؑ واللحاق بهم؛ لأنّهم حسب ما وصفهم النبيّ ﷺ، سفينة نجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. كما أكّد الشّاعر على أنّ ولاء الأئمة وتبعيتهم تؤدّي في نهاية المطاف إلى الصّواب

والحقيقة والرّشاد:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَسْرَاكُم بِقِدْوَتِكُمْ مَن يَسْتَشِفَّ بِأَهْلِ الْبَيْتِ يَغْتَنِمِ
تَوَسَّلُوا خَطْوَهُمْ فِي الْعَالَمِينَ هُدًى لَا يَسْتَقِيمُ لَكُمْ حَقٌّ بغيرِهِمْ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٦٧)

٥. صور الخيال في العلويات:

شاعرنا، جوزف الهاشم، يذهب في استخدام الصور الخيالية والزخارف البديعية مذهب الشعراء الكلاسيكيين: إنه مغرم بالتصاوير والأخيلة، خاصة الاستعارة والتشخيص والتشبيه والمجاز، فشعره يمتاز بالرونق والشعور والجمال والاقتصاد في استخدام أدوات التصوير. يكفي أن تقرأ هذين البيتين لتوافقنا فيما قلناه:

عُدَّ يَا إِمَامُ، فَإِنَّ السَّاحَ فِي ظَمَأٍ لِيَذِي الْفَقَارِ، وَأَجَّجَ نَارَ وَمَضَّتْهُ
مَا زَالَ يَذُكُرُ ذَلِكَ الْحِصْنَ صَوْلَتُهُ بِبَشِيرٍ جَهَنَّمَ، وَأَصْقَلَ حَدَّ شَفَرَتِهِ

(الهاشم، ١٤٢٠، ص ٥٣-٥٤)

الاستعارة مكنية في «الساح»؛ شبهت الساح بالإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «الظمأ». والاستعارة في «الحصن» مكنية أيضاً: شبهت الحصن بالإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «يذكر». واستعيرت «البشارة» التي هي الخبر السار للإنذار الذي هو ضده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء (الاستعارة التهكمية).

وواضح ممّا قدّمناه أنّ شعره يتمييز بالطبع والسلاسة والعدوابة والانسجام بعيداً عن التكلّف والتصنّع؛ لأنّه جعل الشعر في خدمة الفكر والعقيدة والرّسالة لا التعقيد أو التكلّف أو التصنّع أو التفنّن.

الخاتمة

١. إنَّ علويات جوزف الهاشم تثبت لنا الإحساس بالمسؤولية لدى هذا الشاعر المفكر أمام التاريخ والحقيقة كما تبين ولاءه لعليّ وآل البيت عليهم السلام؛ إنّه يذكر في هذه القصائد، بقوة الكلمة وحرارة الإيمان وصدق العاطفة، فضائل الإمام علي عليه السلام ومواقفه تجاه القضايا الإسلامية والإنسانية في موقف حيادي وصريح. وزد على ذلك أنّه يحدثنا في شعره عن عمق العلاقة الروحية بين النصارى المؤمنين والمؤمنين من المسلمين منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، كما قال القرآن الكريم:

﴿... وَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢)

٢. وهكذا يتجلى لنا أنّ الموضوعات أو الأساليب التي يطرحها الشاعر أو يستعيد منها، رغم أنّها تكون شديد الشبه بالشعر الشيعي الكلاسيكي، إلا أنّ الشاعر قد كان ناجحاً في الجمع بين القديم والحديث: المزج بين فضائل الإمام عليه السلام ومتطلبات الأمة الإسلامية في عصرنا الراهن والدعوة إلى التضامن والوحدة والمقاومة أمام المؤامرات والدسائس، تعدّ خير دليل لهذه الفرضية.

٣. إنّ شعره يمتاز بالاعتدال في استخدام الصّور الخيالية؛ ومن ثمّ شعره موجّه إلى الفكر والعقيدة والمنطق والكلام أكثر منه إلى التّصنيع والتّصنّع والخيال.

٤. هو شاعر طويل النّفس وكان في أسلوبه يمثل أحد الشعراء الكلاسيكيين الذين مالوا نحو القوّة والجزالة وتفسير المعاني الشعرية، خاصّة في المزج بين الأدب والرموز الدّينية، والإمام علي عليه السلام يعدّ بحق أكبر رمز للأخلاق والإنسانية والحياة الطاهرة والعابقة بعبق الرّسالة الإلهية.

المراجع

- القرآن الكريم.
نهج البلاغة.
١. الأميني النجفي، عبد الحسين أحمد (١٩٨٣م). *الغدير في الكتاب والسنة والأدب*. ط ٥، بيروت: دار الكتاب العربي.
 ٢. الأنطاكي، عبد المسيح (١٩٩٠م). *ملحمة الإمام علي عليه السلام*. بيروت: مؤسسة الأعلمي.
 ٣. ابن الرومي، علي بن العباس (١٩٧٤م). *ديوان ابن الرومي*. تحقيق حسين نصار، مصر: دار الكتب.
 ٤. ابن المعتز (دون تا). *طبقات الشعراء*. تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط ٢، مصر: دار المعارف.
 ٥. البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٩٧م). *صحيح البخاري*. تحقيق قاسم السماعي الرفاعي، ط ٣، بيروت: دار الأرقم.
 ٦. سلامه، بولس (١٩٩٠م). *عيد الغدير*. نشر المؤسسة الثقافية لهيئة أنصار الحسين عليه السلام.
 ٧. السيوطي، جلال الدين (١٣٧١هـ). *تاريخ الخلفاء*. تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر.
 ٨. سياحي، صادق (١٣٨٢هـ.ش). *الأدب الملتزم بحب آل البيت عليه السلام*. طهران: سمت.
 ٩. الصالح، صالح علي (١٤٠٨هـ). *الروضة المختارة*. قم: منشورات الرضي.
 ١٠. الطبري، محمد بن جرير (دون تا). *تاريخ الأمم والملوك*. بيروت: مؤسسة الأعلمي.
 ١١. عنتره بن شداد (١٩٩٧م). *ديوان عنتره ومعلقته*. تحقيق خليل شرف الدين، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
 ١٢. الفندي، محمد ثابت (دون تا). *دائرة المعارف الإسلامية*. طهران: نشر جهان.
 ١٣. المتنبي، أبو الطيب (١٩٩٤م). *ديوان أبي الطيب المتنبي*. شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقاء؛ وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، بيروت: دار الفكر.
 ١٤. المجلسي، محمد باقر (١٤٠٣هـ). *بحار الأنوار*. بيروت: مؤسسة الوفاء.
 ١٥. مولوي، جلال الدين محمد (٥١٣٦٠هـ.ش). *مثنوي معنوي*. ط ٧، طهران: امير كبير.
 ١٦. النيسابوري، الحاكم (٢٠٠٢م). *المستدرک على الصحيحين*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
 ١٧. النيشابوري، مسلم بن الحجاج (١٩٩٥م). *صحيح مسلم*. دار ابن حزم.
 ١٨. الهاشم، جوزف (١٩٩٩م). *علويات؛ قصائد من وحي الإمام علي عليه السلام*. بيروت.
 ١٩. هيفا، راجي أنور (٢٠٠٥م): *الإمام علي عليه السلام في الفكر المسيحي المعاصر*. لبنان: دار العلوم.

الصحف والانترنت

٢٠. پایگاه خبری حوزه هنری سازمان تبلیغات اسلامی: www.hozehonari.com.21
٢١. صحيفة كيهان، السبت ٢٠ آذار ١٣٨٩ هـ.ش، العدد ١٩٨١٢.
٢٢. سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی: www.icro.ir
٢٣. صحيفة البناء، اللّبنان، السنّة الثّانية/ الثّلاثاء، ٢٨ كانون الأوّل ٢٠١٠ م، العدد ٤٩٢.
٢٤. _____ / الإثنين، ٢٣ آب ٢٠١٠ م، العدد ٣٩٠.